

شرح العقيدة الواسطية

الدرس الحادي عشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد...

فقد انتهينا من قول المؤلف رحمه الله تعالى: (فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَّةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْثِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ)

ثم قال: **(بَلْ هُمُ الْوَسْطُ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ^(١)؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَّةِ)**
قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} فكانت هذه الأمة - أمة الإسلام - أمة معتدلة جاءت بين الأمم الأخرى، وكذلك أهل السنة والجماعة هم وسط ما بين فرق الغلو وفرق التقصير في عدة أبواب من أبواب الاعتقاد؛ فقال المؤلف رحمه الله:

(فَهُمْ وَسْطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُنْشِبَةِ)

فأهل السنة والجماعة سلكوا في مسألة صفات الله تبارك وتعالى مسلك الاعتدال والتوسط ما بين الغلو والتقصير، وخالفوا بذلك فرقتي الجهمية والمشبهة.

الفرقة الأولى - وهي الجهمية - تُطلق بمعنيين:

الجهمية بالمعنى العام، والجهمية بالمعنى الخاص.

الجهمية بالمعنى العام: يشمل كل معطل عطل صفات الله تبارك وتعالى ولم يثبتها كما أثبتها الله لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ؛ فيقال له: جهمي، وهذا يشمل المعتزلة

١ - في نسخة شرح الشيخ ابن عثيمين: (الأمة)

والأشاعرة والجهمية بالمعنى الخاص والماتريدية وغيرهم؛ فهذا المعنى معنى عام.
وبالمعنى الخاص: تطلق الجهمية على فرقة خاصة، وهي فرقة من فرق أهل التعطيل وهم أتباع الجهم بن صفوان- الذي قتله سالم بن أحوز سنة ١٢١ هـ- وذلك لتعطيله لأسماء الله وصفاته، فحقيقة قول هؤلاء القوم أنهم ينفون وجود الله تبارك وتعالى، فلا يثبتون إلا وجوداً مجرداً عن الأسماء والصفات، وهذا الوجود موجود في الذهن فقط لكن في الحقيقة لا وجود له، هذه الطائفة من الذين ينفون عن الله تبارك وتعالى الأسماء والصفات فلا يثبتون له اسماً ولا يثبتون له وصفاً؛ فلذلك كفرهم العلماء، كفرهم أكثر من ستين عالماً من علماء الإسلام، هؤلاء غلوا في التعطيل حتى وصلوا إلى هذا الحد؛ فعطلوا صفات الله تبارك وتعالى، وعطلوا أسماء الله تبارك وتعالى، وهذه الفرقة لها عدة ضلالات.

ضلالهم ليس فقط في باب الأسماء والصفات؛ بل وفي القدر أيضاً وفي الإيمان وغيرها من المسائل العقائدية التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة؛ هؤلاء هم المعطلة.
فمعنى المعطلة: أنهم عطلوا الله تبارك وتعالى عن أسمائه وصفاته فنفوها عنه ولم يثبتوها له.

والمقصود من كلام المؤلف رحمه الله بالجهمية في هذا الموطن: هو المعنى العام الذي يشمل هذه الطائفة الذين هم أتباع الجهم بن صفوان ويشمل أيضاً:
المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء وكان من تلاميذ الحسن البصري ويُجالسه، ثم لما مرّت مسألة فُسّاق المسلمين؛ اعتزل مجلس الحسن البصري وقال: هم في منزلة بين المنزلتين وحكم عليهم بالخلود في نار جهنم.

وفي مسألة الأسماء والصفات أثبتوا أسماء الله تبارك وتعالى ولكّهم نفوا الصفات، فهم أحسن حالاً من الجهمية الذين هم أتباع الجهم بن صفوان؛ فأولئك نفوا الأسماء

والصفات، وأما هؤلاء فلم ينفوها؛ بل أثبتوا الأسماء ولكنهم نفوا الصفات، وهؤلاء أيضاً لهم أنواع من الضلالات الأخرى في القدر وفي الإيمان وفي غير ذلك.

والفرقة الثالثة التي دخلت في التعطيل وهي داخلة أيضاً في المعنى العام للجهمية: الأشاعرة: أتباع أبي الحسن الأشعري، ففي بداية الأمر هو الذي أنشأ هذا المذهب وكان على عقيدة الاعتزال قبل الأربعين، ثم بعد ذلك أعلن توبته من الاعتزال وكون مذهباً خاصاً به، كثير منه مأخوذ من مذهب الماتريدية، كون هذا المذهب وصار أصحابه ينتسبون إليه ويُسمّون بالأشاعرة وهم أيضاً معطلة؛ لكنهم أحسن حالاً من المعتزلة، فهم يثبتون الأسماء ويثبتون سبع صفات هي:

الحياة، والعلم، والقدرة، والكلام، والإرادة، والسمع، والبصر.

لكنّ الكلام الذي يثبتونه ليس كاللّكلام الذي يثبتته أهل السنة؛ إنما يثبتون الكلام النفسي، يعني هو ليس بكلام ولكن يثبتون كلاماً نفسياً، فهم يخالفون المعتزلة في ذلك، المعتزلة لا يثبتون كلاماً أصلاً وكذلك الجهمية، والأشاعرة فيثبتون كلاماً نفسياً، أمّا أهل السنة والجماعة؛ فيثبتون كلاماً حقيقياً بحرفٍ وصوتٍ يليق بجلال الله وعظمته.

فهؤلاء كلّهم يُطلق عليهم معطلة؛ لأنهم جميعاً قد عطّلوا إمّا بعض صفات الله أو جميع صفات الله أو جميع الصفات والأسماء؛ هذه حقائق القوم، فهم غلاة في مسألة التعطيل.

ويقابلهم: المشبهة: هؤلاء أهل التمثيل الذين يقولون بأنّ الله تبارك وتعالى له صفات كما ذكر في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، وصفاته تُماثل صفاتنا؛ فيقولون: له يد كأيدينا، له سمع كسمعنا، له بصر كبصرنا، وهؤلاء انتقلوا من الإفراط إلى التفريط.

وأما أهل السنة والجماعة فقد جمعوا بين ما ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم،

أولئك بعضهم أخذ بجانب وترك جانباً، والبعض الآخر أخذ بالجانب الثاني وترك الجانب الأول من قول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}؛ فالله سبحانه وتعالى نفى المثلية عن نفسه وأثبت لنفسه السمع والبصر، فعندنا نفى وإثبات، بعض هؤلاء أخذوا بالنفي وهم المعطلة وغلووا فيه حتى نفوا عن الله ما أثبت لنفسه، والقسم الثاني أخذوا بالإثبات وتركوا النفي حتى أثبتوا لله تبارك وتعالى ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه من المثلية، أمّا أهل السنة والجماعة؛ فتوسّطوا في هذا الأمر وأخذوا بما نصّ الله تبارك وتعالى عليه في كتابه الكريم في الشطرين: النفي والإثبات، فأثبتوا لله سمعاً وبصراً كما قال في كتابه، ونفوا عنه التمثيل كما قال في كتابه؛ فكانت هي الطائفة المعتدلة بين هاتين الطائفتين.

ثم قال رحمه الله: **(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَعْمَالِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَ الْجَبَرِيَّةِ)**

هذه المسألة هي مسألة القدر، أهل السنة والجماعة في مسألة قدر الله تبارك وتعالى وسطاً أيضاً بين فرقتين؛ بين فرقة القدرية وفرقة الجبرية، فأهل السنة والجماعة في هذا الباب أثبتوا أنّ الله تبارك وتعالى علّم الأشياء قبل كونها، وأنّه خالق كلّ شيء، وأنّه كتب كلّ شيء، وأنّه شاء كلّ شيء، وأيضاً أثبتوا أنّ للعبد فعلاً حقيقياً وله إرادة ومشیئة حقيقية، فهو يشاء ولكنّ مشیئته تابعة لمشيئة الله تبارك وتعالى {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}؛ فجمعوا بين هذا وهذا؛ يعني أنّهم أثبتوا لله تبارك وتعالى فعله وأثبتوا له تقديره وأثبتوا له علمه وخلقه، وأثبتوا أيضاً في نفس الوقت للعبد قدرة ومشیئة وفعلاً؛ ولكنهم يقولون: بأنّ مشیئة العبد لا تخرج عن مشیئة الله تبارك وتعالى؛ فأهل السنة وسط ما بين:

القدرية الذين هم فرقتان:

فرقة منهم غلاة؛ نفوا عن الله تبارك وتعالى أن يعلم أفعال العباد قبل كونها أصلاً؛ فالعبد

إذا أراد أن يعصي، هؤلاء ينفون عن الله تبارك وتعالى أن يكون قد عَلِمَ بمعصية العبد قبل أن يفعلها، وإذا أراد العبد أن يُطيع؛ ينفون عن الله تبارك وتعالى العلم بطاعة العبد قبل فعله؛ فهؤلاء ينفون عن الله العلم، وقد حكم بكفرهم علماء الإسلام؛ كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم منهم الإمام الشافعي رحمه الله؛ قال: جادلوا القدرية بالعلم فإن نفوا كفروا وإن أثبتوا خُصموا؛ هذه الفرقة الأولى وهي فرقة الغلاة من القدرية.

أمّا الفرقة الثانية؛ وهم الذين أثبتوا عِلْمَ الله تبارك وتعالى؛ ولكنهم قالوا: إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق أفعال العباد؛ يقولون العبد هو يخلق فعله، ويوجد فعله، فأثبتوا خالقاً مع الله تبارك وتعالى؛ أرادوا من ذلك أن يفروا من مسألة الجبر، قالوا: كي لا تقع في القول بأنّ الله سبحانه وتعالى قد ظلم العباد، خلقهم وأمرهم ونهاهم ثم بعد ذلك يُجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم على ذلك؛ قالوا: لا، إذن هو لا يخلق أفعال العباد، والعبد هو يفعل الفعل باختياره الكامل ومشيتته التامة التي ليست لها علاقة بمشيئة الله تبارك وتعالى البتة، وهذا لتصوّرهم أنّ العبد مُكْرَه ومجبور على فعله، فأرادوا أن يفروا من ذلك-أي القول بالجبر- إلى ذاك إلى إثبات خالق مع الله؛ وهذه هي الفرقة الثانية من فرق القدرية.

أمّا الفرقة التي تقابل القدرية وهم:

الجبرية: وهؤلاء قالوا بأنّ العبد مجبور على فعله، ليس له اختيار، ليست له إرادة، هو مجبور على أفعاله، وأفعاله هي بمنزلة حركة أوراق الشجر في مهبّ الريح، أوراق الشجر لما تأتيها الريح تضربها يمناً ويسرة ليس لها اختيار، وإنّما تتحرك على حسب ما تُحرّكها الريح؛ قالوا: كذلك العبد يفعل به الله تبارك وتعالى، فهو ليست له اختيار وليست له إرادة، وقالوا الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد.

وهذا باطل وذاك باطل.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك: أنّ الله سبحانه وتعالى علّم الأشياء قبل كونها، وأنّه أرادها، وأنّه سبحانه كتبها، وأنّه خلقها؛ هذا كلّ من عقيدة أهل السنة والجماعة.

يثبتون للعبد إرادة وقدرة خلقها الله تبارك وتعالى له؛ فهو يفعل بإرادته وقدرته التي هي مخلوقة لله تبارك وتعالى، فله اختيار وله مشيئة ويفعل بإرادته، فيستطيع أن يفعل المعصية وأن يمتنع عن المعصية؛ لكنّ الإرادة والقدرة التي يكون بها الفعل هي من خلق الله تبارك وتعالى؛ لكنّ العبد يُفَرِّق في نفسه بين ما هو مضطر إليه مجبرّ عليه وبين ما هو مختار فيه، فنحن نعلم أن الأعمال التي تُضطر إليها ونفعلها من غير اختيارنا، ربّنا سبحانه وتعالى لا يُحاسبنا عليها هذه؛ بينما يُحاسبنا على ما نفعله باختيارنا؛ بإرادتنا وقدرتنا، وهذا الذي يُحاسبنا عليه، لكن إذا وقع علينا أمرٌ من غير اختيارنا ومن غير قدرتنا عليه؛ فهذا لا يُعذّبنا الله سبحانه وتعالى عليه، يعني الإنسان عندما يجوع أو عندما يشبع، يُدخل على نفسه الماء، أو يُدخل على نفسه مضرّة عندما يقطع يده أو يقطع رجله، يُحاسب إذا فعل ذلك هو بنفسه، إذا نزل عليه الأمر بقدر الله سبحانه وتعالى وهو لا يُريده؛ لا يُحاسبه الله سبحانه وتعالى عليه، لماذا حاسبه على هذا ولم يحاسبه على هذا؟ لأنّ المكره عليه ليست له إرادة فيه؛ فلا يعاقبه الله سبحانه وتعالى عليه، أمّا الذي فعله بإرادته وقدرته؛ فهذا يحاسبه الله عليه، دلّ ذلك على أنّه غير مكره على فعل المعصية؛ هذا هو الذي يقوله أهل السنة والجماعة في ذلك، لا شكّ أنّ العبد إذا أراد أن يعصي؛ فالله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يمنعه من المعصية، وإذا أراد أن يُطيع؛ فالله قادرٌ على أن يمنعه من الطاعة، ولكنّ الله سبحانه وتعالى لا يفعل به ذلك، إذا أراد العبد الطاعة لله تبارك وتعالى والقرب لله سبحانه وتعالى أعانه الله

على ذلك؛ هذه مسألة القدرية والجبرية، فأهل السنة وسط في أفعال الله تبارك وتعالى ما بين القدرية والجبرية.

قال رحمه الله: (وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم)

في باب وعيد الله، يعني: في باب الحكم على الأشخاص، الباب الذي يُسميه العلماء بباب الإيمان والأسماء والأحكام، هذا الجزء في الحكم على الشخص، يعني: فاعل الكبيرة أو فاعل الذنب؛ ما حكمه؟

أهل السنة والجماعة يقولون: بما أنّ فعله ليس كفراً؛ فهو فاسق بذنبه مؤمن بإيمانه؛ فيجمعون له وصف الإيمان ووصف الفسق، أمّا غيرهم من المرجئة والخوارج وغيرهم؛ فهؤلاء يحكمون عليه بحكم آخر:

المرجئة: هم الذين أرجأوا الأعمال عن الإيمان، ومعنى الإرجاء: التأخير، جميع فرق المرجئة وجميع طوائفهم، عقيدتهم: أنّ أعمال الجوارح ليست من الإيمان؛ تجتمع المرجئة كلّها في هذا الجانب؛ أعمال الجوارح ليست من الإيمان، فيخرجونها عن الإيمان، ثم بعد ذلك يختلفون في تعريف الإيمان:

بعضهم يقول: هو التصديق فقط، وبعضهم يقول: المعرفة، وبعضهم يقول: الكلمة، وبعضهم يقول: التصديق مع القول؛ يختلفون في ذلك إلا أنّهم كلّهم متفقون على أنّ أعمال الجوارح ليست داخلية في الإيمان؛ فيعتقدون أنّ من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصدّق بقلبه أنّه مؤمن كامل الإيمان؛ هذه عقيدة المرجئة.

فعندهم أن من ارتكب ذنباً هذا يبقى مؤمناً كامل الإيمان، من زنا، أو سرق؛ هذا يبقى مؤمناً كامل الإيمان لا يستحق دخول النار لا دخولاً مؤبداً ولا مؤقتاً؛ فلا يضرّ عندهم مع الإيمان معصية مهما كانت.

وأما الجانب الآخر وهم: الوعيدية: غلبوا جانب الوعيد وقالوا: أيّ كبيرة يفعلها الإنسان ولم يتب منها؛ فإنه مخلّد في النار، إن سرق فهو كافر مخلّد في نار جهنم، إن زنى فهو كافر مخلّد في نار جهنم؛ وهكذا.

وهذه طريقة المعتزلة والخوارج؛ المعتزلة والخوارج يحكمون على صاحب الذنب بالخلود في نار جهنم، وأما في الدنيا فالخوارج يسمونه كافراً، والمعتزلة يقولون هو في منزلة بين المنزلتين، والمرجئة عندهم هو مؤمن كامل الإيمان ولا يدخل النار أصلاً.

أما أهل السنة والجماعة؛ فيقولون المذنب - الزاني والسارق وما شابه - هذا مؤمن ناقص الإيمان، وهو يوم القيامة - إذا لم يتب - أمره إلى الله إن شاء عذّبه بِقَدْرِ ذنبه وإن شاء عفا عنه؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الفاسق.

أما المرجئة والخوارج فقد خالفوا في هذه المسألة؛ هذا بالنسبة للحكم في الآخرة؛ معنى الأسماء والأحكام: الأحكام في الآخرة، أهل السنة بالنسبة للفاسق في الآخرة هو تحت مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه، وفي النهاية هو من أهل الجنة لا يُخلّد في نار جهنم، المرجئة يقولون: لا يدخل النار من أصله، هو يدخل الجنة مباشرة، الخوارج والمعتزلة يقولون: هو مخلّد في نار جهنم.

من هم الخوارج؟ الخوارج هم: الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب يوم التحكيم؛ يوم أن حكم رجلاً بينه وبين معاوية بن أبي سفيان؛ فقالوا: تُحكّم الرجال وتترك القرآن؛ فخرجوا على عليّ بن أبي طالب في ذلك الوقت وكان منهم من قتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

صفتهم التي بها يمتازون: أنّهم يُكفّرون المسلمين ويستبيحون دماءهم، هذه صفتهم، تكفير المسلمين واستباحة دماءهم، خطرهم وضررهم وفسادهم في استباحة دماء

المسلمين، ففسادهم عريض، من أعظم مقاصد الشريعة حفظ دمّ المسلم، فجاء هؤلاء وهدموا هذا الأصل العظيم من أصول مقاصد الشريعة حفظ دماء المسلمين، فخطرهم عظيم، قريب- وإن كان أقلّ- من خطر الرافضة الذين سيأتي ذكرهم، ومن أعظم فرقهم الموجودة اليوم هؤلاء الذين يُسمّون بـ جبهة النصرة في سورية، وكذلك جماعة القاعدة، وجماعة السلفية الجهادية- كما يسمون أنفسهم-؛ كلّهم يحملون هذه الأفكار؛ أفكار تكفير المسلمين واستباحة دماء المسلمين، فلا بدّ من الحذر من هؤلاء القوم؛ فخطرهم عظيم على المسلمين.

قال: (وفي باب أَسْمَاءِ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ بَيْنَ الْحُرُورِيِّ وَالْمُعْتَزِّلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ)

في باب الأسماء والدين؛ الأسماء التي تطلق على الفاسق، فعندنا بابين: باب الأسماء، وباب الأحكام.

هنا صاحب الكبيرة ماذا نسميه؟ مؤمن أم كافر؟ هناك في الأحكام؛ ماذا نحكم عليه، في النار أم في الجنة؟ هذا الفرق بين البابين؛ فهنا القسمة ثنائية: الحرورية والمعتزلة في جانب، والمرجئة والجهمية في جانب آخر، وأهل السنة جاؤوا وسطاً بينهم. الحرورية: هم الخوارج، سمّوا بذلك نسبة إلى حروراء، منطقة في العراق أول ما خرجوا خرجوا من ذاك المكان؛ فسمّوا بالحرورية، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت للمرأة: (أحرورية أنتِ؟) يعني: هل أنتِ من الخوارج؟ وأعظم صفتهم هي التكفير وسفك الدّم.

والمعتزلة كما ذكرنا في مسألة الأحكام يحكمون على الفاسق -مرتكب الكبيرة- أنّه مخلّد في نار جهنم، أمّا من حيث الاسم؛ فيقولون هو في منزلة بين المنزلتين.

قال: (وَبَيْنَ الْمُرْجِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ)

الجهمية: هم الذين قالوا بأنّ الإيمان هو المعرفة، هم الذين تقدموا معنا وذكرنا قولهم في

باب الأسماء والصفات، أمّا في باب الإيمان فهم من أشد أنواع المرجئة، هؤلاء الذين يقولون: الإيمان المعرفة، مجرد ما عرف صار مؤمناً، انتهى عندهم، لا يشترطون له شرطاً آخر.

والمرجئة: هم الذين يقولون: الإيمان التصديق، وهذا قول جمهور المرجئة، يقولون: الإيمان التصديق، فمن صدّق بقلبه عندهم؛ فهو مؤمن ولو لم ينطق بلسانه ولم يعمل بجوارحه.

والمرجئة الثالثة: هم مرجئة الفقهاء؛ وهؤلاء الذين قالوا: الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان.

والمرجئة الرابعة: هم مرجئة الكرامية؛ وهم الذين قالوا: الإيمان هو نطق باللسان فقط، من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فهو مؤمن.

هذه فرق المرجئة، وكما ترون جميع الفرق هذه تجتمع في كون أعمال الجوارح ليست من الإيمان.

وأهل السنة وسط بين الطرفين، الفاسق - مرتكب الكبيرة - يُسمونه فاسقاً أو مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته؛ فهو عندهم مؤمن ولكنه ناقص الإيمان، فأهل السنة والجماعة يعتقدون أنّ الإيمان يتبعض، أي: ينقص ويزيد، ويستدلون بآيات وأحاديث عن النبي ﷺ في ذلك.

أمّا الأصل الذي اتفق عليه المرجئة والخوارج فهو أنّ الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، فإذا نقص ذهب كلّهُ؛ هذا عندهم جميعاً، لكنّ الفرق بينهم: أنّ الخوارج والمعتزلة يُدخلون أعمال الجوارح في الإيمان لكنهم يقولون إذا ذهب عمل من هذه الأعمال وصار الشخص مرتكباً لكبيرة بذلك؛ فإنّه يكفر أو يكون في منزلة بين المنزلتين.

أمّا المرجئة فيقولون: لا، الأعمال ليست من الإيمان، ولذلك إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصدق بقلبه فهو كامل الإيمان؛ أتى بالإيمان كله، هذا الأصل الذي اجتمعوا عليه وبناءً على ذلك وقعوا في أنواع الضلال.

فعندهم جميعاً: الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كله؛ هذا أصلهم، وأهل السنة والجماعة عندهم الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وكلّنا يجد هذا من نفسه، ما ينكره إلا جاحد، كلّنا يجد هذا؛ أنّه في بعض الأوقات يجد من إيمانه الشيء المرتفع، وهو يجد من نفسه أنّه أقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وفي بعض الأوقات يجد في نفسه فتوراً وضعفاً، يشعر بهذا الإيمان في قلبه، فينكرون أمراً محسوساً، ليست الأدلة الشرعية فقط التي دلّت عليه؛ بل حتى الحس هو أمر محسوس.

قال: **(وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الرُّوَافِضِ وَالْخَوَارِجِ)**

الظاهر أنّ المؤلف هنا يُريد بالأصحاب: أصحابه من آل بيته ﷺ، وليس الصحابة عموماً؛ وذلك لأنّ الروافض والخوارج في غير آل بيت رسول الله ﷺ يتفقون على كفر الصحابة؛ فليس هؤلاء في طرف وأولئك في طرف، كلّهم في طرف واحد، أمّا في آل بيت رسول الله ﷺ فنعم، هم على طرفين؛ طرف يغفلون في آل بيت رسول الله ﷺ حتى إنّهم يعبدونهم مع الله تبارك وتعالى كما حصل من الروافض. والروافض: سموا روافض لأنّهم رفضوا زيد بن عليّ بن الحسين لما امتحنوه بأيّ بكر وعمر، فقالوا ماذا تقول فيهما؟ قال: هما وزيراً جدي؛ فانقسموا إلى قسمين: قسم والاه وتمسك به وسموا: الزيدية وهم الموجودون في اليمن. وقسم آخر رفضوه وهم: الرافضة.

هؤلاء هم الشيعة، كان يشملهم اسم الشيعة، فلما ذهبوا مع زيد امتحنوه هذا الامتحان ثم انقسموا إلى قسمين: منهم من والاه ومنهم من عاداه.

وهؤلاء في آل البيت عندهم غلو، حتى إنهم يدعون العصمة لاثني عشر إماماً من آل بيت رسول الله ﷺ، يدعون العصمة يعني: يجعلونهم كالأنبياء يُشرعون لهم شرائع، ثم أخذوا يكذبون على ألسنتهم، وأكثر من كذبوا عليه جعفر الصادق؛ كذبوا عليه كذباً شديداً ثم وضعوه واعتبروه ديناً.

عندما جاء هؤلاء عندنا - في الأردن - في مدة ماضية قبل سنين قليلة، أول ما بدأوا به مع الناس أنهم استغلوا نقطة حب الناس لآل بيت رسول الله ﷺ - من هنا يدخلون - فيبدؤون بذكر مناقب آل البيت ومكاتبهم وغير ذلك، ثم بعد ذلك يدخلون عليهم بقولهم أن آل البيت الاثني عشر معصومون، وإذا كان الواحد منهم معصوماً يُشرع، إذا الشرع الذي على لسانه حق، كما نقول نحن في النبي ﷺ: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}.

لما يقرروا للناس هذا؛ بماذا يقررونه؟

حصل معي موقف مع شخص - وكان رافضياً - في مجلس من المجالس عند الإخوة، فقلت له: هات لي دليلاً على عصمة الأئمة؟ فذكر قول الله تعالى: {لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}، قلت: هذا فيه تطهيرهم وعدم تنجيسهم، فأين الدليل على كونهم معصومين؟ التطهير وعدم التنجيس هذا لا يدل على العصمة؛ إنما يدل على التطهير؛ ليس له علاقة بمسألة العصمة، قد طهر الله سبحانه وتعالى غير واحد من آل بيت رسول الله ﷺ وما كانوا معصومين.

فما حار جواباً، والظاهر أنه لم يكن ملماً بمذهبهم.

على كل حال الشاهد عندنا أنّهم كانوا يُركزون على هذه النقطة بتبليساتهم المتنوعة، ثم بعد أن يُقنعوا الناس بأنهم معصومون يبدؤون بإدخال: كيف يدرسونهم الفقه؛ ماذا يقولون لهم؟ يقولون: المذاهب خمسة: الأربعة المعروفة ومذهب جعفر الصادق، ثم تعالوا تُرجّح، كيف تُرجّح؟ يقولون: المسألة فيها أربعة أقوال أو ثلاثة أقوال، قال مالك كذا، قال الشافعي كذا، قال جعفر كذا؛ قول من تقدم؟ قول جعفر؛ لماذا جعفر؟ لأنه معصوم، انتهى الأمر؛ إذن يضربون على جميع المذاهب فيعلّقون الناس بمذاهبهم الفاسد؛ هذا أسلوبهم الذي كانوا يمشون عليه في نشر مذاهبهم هنا في هذه البلاد، لكن الحمد لله أمرّ أَرَادَهُ اللهُ سبحانه وتعالى؛ تَبَّه السلطات هنا على شرهم فقمعوهم وأزالوهم بفضل الله سبحانه وتعالى.

الشاهد عندنا هنا أنّ عندهم غلوّاً في آل بيت رسول الله ﷺ حتى أنّهم ألّهُوهم مع الله تبارك وتعالى، والآن يعبدون عليّاً والحسين صراحة وعلى مرأى ومسمع الجميع، في البداية- في القديم- ما كان لهم شوكة، كانوا يخافون على أنفسهم من إقامة حدود الرّدّة، اليوم ليس هناك حدود رّدّة ولا شيء؛ فأخذوا راحتهم وأظهروا ما عندهم من عبادة عليّ والحسين، وهذه أشرطتهم وكلامهم منشور ويقرأه ويسمعه الجميع.

في الطرف الثاني- في مسألة الصحابة من آل بيت رسول الله ﷺ:-
الخوارج: وهؤلاء يكفرونهم، كانوا يكفرون عليّ بن أبي طالب وكانوا هم السبب في قتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأهل السنة في ذلك وسط؛ يُحِبُّون آل بيت رسول الله ﷺ ويعرفون لهم قدرهم ومكانتهم، وفي نفس الوقت يعطونهم قدرهم الذي أعطاهم الله تبارك وتعالى فلا يغلون فيهم، فلم يعطوهم حقّ العصمة ولم يعطوهم حقّ العبودية ولا غير ذلك مما فعله

الرافضة؛ إنّما هو الاحترام والتقدير ومعرفة مكانتهم في دين الله وشرعه وإعطائهم حقوقهم التي أعطاهم الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: وَقَدْ دَخَلَ فِيْمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَآوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ)**

هذا أمرٌ مجمّع عليه، وقد تقدم معنا أنّ الله سبحانه وتعالى عالٌّ على عرشه، قد استوى على عرشه، كما قال في كتابه الكريم: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} فهذا أمرٌ مقررٌ ومجمّع عليه، والأدلة عليه كثيرة جداً؛ فلا خلاف ولا إشكال فيه، وقد تقدم وتكلم عليه المؤلف في موضعين، لكنه هنا يريد أن يبين طريقة الجمع بين: علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه ومعيته لخلقه؛ فقرر القاعدة الأولى وهي علوّ الله سبحانه وتعالى على خلقه وهو أمرٌ مجمّع عليه وأدلته يقينية لا شكّ فيها ولا يدخلها الاحتمال أبداً.

ثم قال: **(وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْتَمَّا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ)**

وهذا أيضاً قد تقدم معنا؛ مسألة معية الله تبارك وتعالى على خلقه؛ فالله سبحانه وتعالى مع خلقه أينما كانوا، معهم بعلمه، معهم بسمعه، معهم ببصره، معهم بحفظه.

معية عامة: للخلق جميعاً: العلم والسمع والبصر والحفظ أيضاً.

ومعية خاصة: معية النصرة والتأييد مع المعية العامة، وهذه للمؤمنين وهي أيضاً ثابتة بالأدلة التي ذكرناها.

ولا تعارض بين علوّ الله تبارك وتعالى وأدلة العلوّ، والأدلة التي تدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى معنا؛ إذ من تأمل في الأدلة التي وردت يعلم أنّها تدلّ على مسألة العلم ومسألة السمع ومسألة القرب للعباد بهذه الأمور.

قال: (كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ)

جمع بين المعية بالعلم وبين علوه على عرشه.

قال: (فِي قَوْلِهِ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ})

فقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}: علوه، ثم يذكر العلم: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} بعلمه الذي يعلمه، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

قال: (وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: {وَهُوَ مَعَكُمْ} أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ)

ليس مختلطاً ومخالطاً للخلق.

قال: (فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللَّغَةُ)

لا تدلّ عليه اللغة العربية- أنه معنا- بما ذكر من الآيات أنه يجب أن يكون مختلطاً معنا.

قال: (وَهُوَ خِلَافٌ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافٌ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ)

فالخلق طبيعة عندما يُذكر الله سبحانه وتعالى، مباشرة يتوجهون إلى العلوّ.

قال: (بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْتِمَا كَانَ)

مثاله هذا للتقريب، انظر الآن إلى القمر الآن؛ هو عالٍ في السماء ومع ذلك يراه المسافر ويراه المقيم، يراه من في المشرق ومن في المغرب، إذن هنا قد اجتمع عندنا العلوّ مع المعية، فهو ماشٍ مع المسافر وهو مقيم مع المقيم.

قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ)
أي مراقباً وحافظاً لهم.

قال: (مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ)
أي: حاكم ومسيطر على عباده.

قال: (مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَّعَانِي رُبوبِيَّتِهِ)
فهذا هو معنى المعية.

قال: (وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ)
ليس فيه تحريف ولا تأويل ولا شيء.

قال: (لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ)
لكن يُبتعد فيه عن الظنون الكاذبة، المهم أن نفهمه فهماً صحيحاً؛ وإلا فهو على ظاهره.
قال: (مِثْلُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: "فِي السَّمَاءِ" أَنَّ السَّمَاءَ تُظَلُّهُ أَوْ تُقَلُّهُ)
يعني هذا من الظنون الكاذبة أنك مباشرة عندما تسمع أنه في السماء: أن السماء تقله، أي: تحمله، أو تظله، أي: أنها تكون كالظل له وتعلوه.

قال: (وَهَذَا بَاطِلٌ بِاجْتِمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ الَّذِي يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ)
فهو الذي يحمل السماء، هو الذي يرفعها بقدرته تبارك وتعالى، فليس بحاجة إلى سماء كي تقله.

قال: **{وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ}**

إذن: فالسماوات والأرض وكلّ ما في السماوات والأرض سبحانه وتعالى هو
قيومها، فليس بحاجة إلى شيء من خلقه، لا إلى عرشه ولا إلى سماء ولا إلى غير ذلك،
فهذه الظنون التي يمكن أن تطرأ على العبد ينبغي أن يُزيلها من ذهنه؛ عندئذ سيقبل
ما جاء عن الله تبارك وتعالى دون تشويش.

هذا وجه الجمع بين العلوّ والمعيّة.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك.